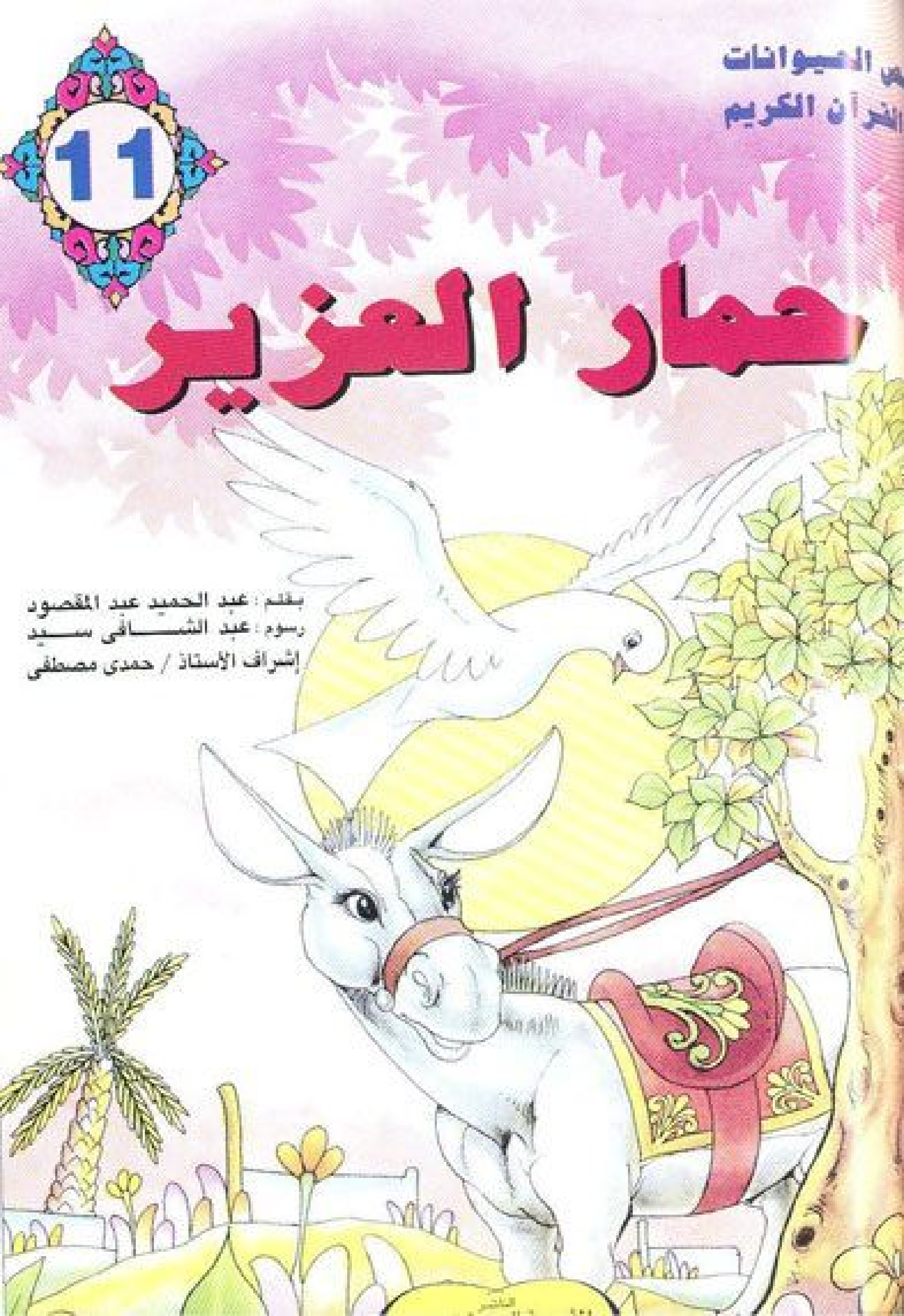

ص الحيوانات
القرآن الكريم
11
حمار العزير
بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : عبد الشافي سيد
إشراف الأستاذ / حمدي مصطفى



أَنَا حِمَارُ عُزَيْر ..

أَنَا الْحِمَارُ الْمُعْجِزَةُ الَّذِى أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ كَامِلَةً ، ثُمَّ بَعَثَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، لِيَكُونَ آيَةً لِلنَّاسِ وَعِبْرَةً ..

وَفِى الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ سَوْفَ أَحْكِى لَكُمْ قِصَّتِى مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..

كُنْتُ حِمَارًا يَمْتَلِكُهُ نَبِىٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، هُوَ النَّبِىُّ عُزَيْرٌ .. وَكَانَ عُزَيْرٌ يَحْفَظُ التَّوْرَاةَ الَّتِى أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِىِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ .. وَكُنْتُ سَعِيدًا لأَنَّنِى أَعْمَلُ فِى خِدْمَةِ رَجُلٍ تَقِىٍّ ، وَنَبِىٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ..

ذَاتَ يَوْمٍ رَكِبَنِى سَيِّدِى عُزَيْرٌ قَاصِدًا مَزْرَعَتَهُ ، الَّتِى كَانَتْ تَبْعُدُ عَنْ قَرْيَتِهِ مَسَافَةً كَبِيرَةً .. كَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا حَارًا مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ ..



وَفِى هَذَا الْيَوْمِ حَمَلَ سَيِّدِى عُزَيْرٌ مَعَهُ بَعْضَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِى ، وَقَادَنِى إِلَى الْمَزْرَعَةِ . .

وَهُنَاكَ نَزَلَ سَيِّدِى عُزَيْرٌ عَنْ ظَهْرِى ، وَتَرَكَنِى أَرْعَى مِنْ حَشَائِشِ الأَرْضِ ، ثُمَّ أَخَذَ هُوَ يَسْقِى بُسْتَانَهُ . .

وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى عُزَيْرٌ عَمَلَهُ ، رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِى ، وَقَادَنِى عَائِدًا إِلَى الْبَيْتِ . .

كَانَ طَرِيقُ الْعَوْدَةِ أَكْثَرَ مَشَقَّةً ، بِسَبَبِ اشْتِدَادِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ ، وَسُخُونَةِ الْهَوَاءِ . . وَكَانَ الطَّرِيقُ إِلَى الْبَيْتِ يَمُرُّ بِمَقْبَرَةٍ قَدِيمَةٍ . .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا الْمَقْبَرَةَ تَبَاطَأْتُ فِى سَيْرِى قَلِيلاً ، وَظَنَّ عُزَيْرٌ أَنَّنِى رُبَّمَا كُنْتُ مُتْعَبًا مِنْ أَثَرِ السَّيْرِ فِى الْحَرِّ ،



فَنزَلَ عَنْ ظَهْرِى ، وَرَبَطَنِى فِى شَجَرَةِ سَنْط مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِى يَنْمُو فِى الْمَقَابِرِ ، وَفَرَدَ عُزَيْرٌ طَعَامَهُ ، وَقَبْلَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ لِيَأْكُلَ رَأَى بَعْضَ عِظَامِ الْمَوْتَى مُتَنَاثِرَةً خَارِجَ الْمَقَابِرِ ، وَبِرَغْمِ أَنَّ عُزَيْرًا لَمْ يَشُكَّ لَحْظَةً فِى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَعْثِ الْمَوْتَى ، فَقَدْ تَسَاءَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ : كَيْفَ يُحْيِى اللَّهُ هَذِهِ الْعِظَامَ وَتِلْكَ الأَجْسَادَ بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَتْ إِلَى تُرَابٍ . ؟!

وَلَمْ يَكَدْ هَذَا الْخَاطِرُ يَمُرُّ بِذِهْنِ عُزَيْرٍ ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ فِى الْحَالِ .. وَبَعْدَ أَيَّامٍ مُتُّ أَنَا مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ..

وَمَضَتْ أَيَّامٌ .. وَشُهُورٌ .. وَسَنَوَاتٌ .. نَسِىَ النَّاسُ خِلَالَهَا أَمْرَ عُزَيْرٍ وَحِمَارِهِ .. وَمَضَتْ مِائَةُ عَامٍ كَامِلَةً .. قَرْنٌ كَامِلٌ مِنَ الزَّمَانِ .. ثُمَّ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ يُبْعَثَ عُزَيْرٌ مِنْ مَوْتِهِ ..



اسْتَيْقَظَ عُزَيْرٌ مِنْ مَوْتِهِ ، وَدَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ ، وَكَأَنَّهُ يَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ..

وَأَرْسَلَ اللَّهُ لِعُزَيْرٍ مَلَكًا كَرِيمًا ، فَسَأَلَهُ :

كَمْ لَبِثْتَ فِى نَوْمِكَ يَاعُزَيْرُ ؟

وَأَجَابَ عُزَيْرٌ :

أَظُنُّ أَنَّنِى نِمْتُ يَوْمًا أَوْ بِضْعَ سَاعَاتٍ مِنَ الْيَوْمِ ..

وَأَجَابَهُ الْمَلَكُ :

بَلْ نِمْتَ مِائَةَ عَامٍ كَامِلَةً .. لَقَدْ أَمَاتَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ بَعَثَكَ لِلْحَيَاةِ ..

هَأَنْتَ تَعُودُ لِلْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى ..

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلَكُ عُزَيْرًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَجَدَ أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ .. تَعَجَّبَ عُزَيْرٌ فِى نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ قَدْ مَضَى عَلَى مَمَاتِى مِائَةُ عَامٍ ، فَكَيْفَ بَقِىَ الطَّعَامُ عَلَى حَالِهِ دُونَ أَنْ يَفْسُدَ ؟ !



وَلَمَّا رَأَى الْمَلَكُ أَنَّ عُزَيْرًا بَدَأَ الشَّكُّ يَتطَرَّقُ إِلَى نَفْسِه فِى مَسْأَلَة إِمَاتَته ، ثُمَّ بَعْثه إِلَى الْحَيَاة مَرَّةً أُخْرَى ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىَّ . . وَكَانَت الْمُفَاجَأَةُ حِينَ نَظَرَ عُزَيْرٌ إِلَى حَيْثُ تَرَكَنِى ، فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ كُومَة مِن الْعِظَامِ الْبَالِيَة وَالتُّرَاب . .

وَهُنَا أَرَادَ الْمَلَكُ أَنْ يُرِيَهُ قُدْرَةَ اللَّه ، وَهِىَ تَعْمَلُ فِى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى . .

نادَى الْمَلَكُ عَلَى تُرَابِى وَعظَامى ، فَإِذَا بالْعظَام تَجَمَّعُ وَاللَّحْمُ يَكْسُوهَا ، وهأنذا أَقفُ أَمَامَهُ مُكْتَملاً ، كَمَا كُنْتُ ، وَقَدْ دبَّتْ فِى جَسَدِى الْحَيَاةُ . .

شَاهَدَ عُزَيْرٌ الْمُعْجِزَةَ وَهِىَ تَحْدُثُ أَمَامَهُ . . مُعجزَةَ إِحْيَاء الْمَوْتَى وَبَعْثِهِمْ مِنَ الْمَوْت ، فَقَالَ : «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» . .



وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِي الآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ :

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(الآية ٢٥٩ من سورة البقرة)